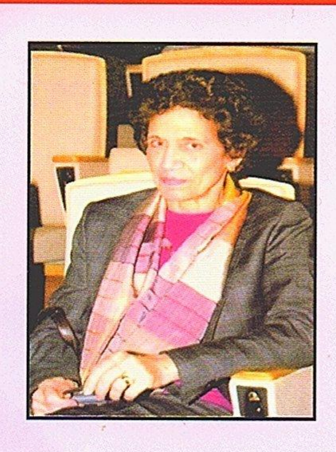
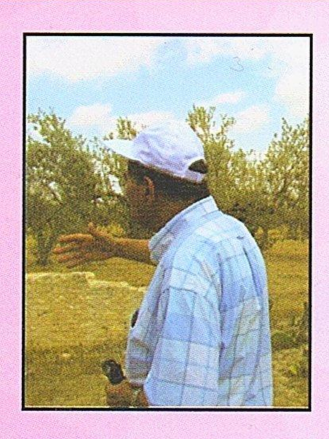
بحوث في
التّاريخ والجغرافيا والحضارة

أعمال مهداة إلى الأستاذين

منيرة الرّمادي شابوطو و عبد اللّه الشّريف





جمع النصوص وقدّم لها : الأستاذ المنجي بورقو



دار المعلمين العليا بتونس



بحوث في
التّاريخ والجغرافيا والحضارة

أعمال مهداة إلى الأستاذين

منيرة الرّمادي شابوطو وعبد اللّه الشّريف

جمع النصوص وقدّم لها : الأستاذ المنجي بورقو

مركز النشر الجامعي دار المعلمين العليا بتونس

2015

المحتوى

الجزء الأول : بحوث في التاريخ الوسيط

الجزء الثاني : بحوث في الجغرافيا

حــول نقيشــة قصبــة مدينــة قفصــة[1]

فتحــي الجــرّاي

أستاذ مساعد، جامعة تونـــس

لفتت هذه النقيشة انتباهنا عند مُعالجتنا لإشكاليّة انتقال السّلطة من الدايات إلى البايات بإيالة تونس خلال القرن السّابع عشر على ضوء النّصوص النقائشيّة في إطار أطروحة الدكتورا التي نوقشت بجامعة بروفانس بفرنسا منذ حوالي خمس سنوات[2]. وقد عُدنا إليها مؤخرا في إطار استكمالنا لمدوّنة نقائش الفترة الحديثة بمدن الجنوب الغربيّ للبلاد التونسيّة.

نُذكّر في البداية أنّ هذه النقيشة قد نُشرت من طرف إرناست مارسيي Ernest Mercier منذ نهاية القرن التاسع عشر[3]، كما نُشير كذلك إلى أنّ فريق البحث التونسيّ–الإيطاليّ نشر لها صورة سنة 1995 في الكتاب الذّي أنجزه حول معالم مدينة قفصة، دون قراءة نصّها أو التعليق عليه، بل أنّها أُعتبرت من جنس النقائش الجنائزيّة[4]. كما أورد نصّها وعلّق عليه الباحث توفيق الأسود في علاقة بتقديم معلم القصبة في إطار رسالته

---

[1] لقد كانت هذه الورقة في الأصل مداخلة قُدّمت في إطار أشغال مخبر تاريخ العالم العربي الإسلامي الوسيط بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس خلال السنة الجامعية 2007–2008.

[2] JARRAY (Fathi), *Inscriptions des monuments dans la Régence de Tunis à l'époque ottomane : étude épigraphique et historique*, Thèse de Doctorat de l'Université, sous la direction cotutelle de mesdames les professeurs Solange Ory et Mounira Remadi-Chapoutot, Université de Provence, 2007, 5 volumes.

[3] MERCIER (Ernest), «Inscriptions arabes inédites de Tunisie », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 7ème volume de la troisième série, 1893. p. 1-32.

[4] BARBERO (Walter), (sous la direction de), *Gafsa : Relevés et recherches pour la sauvegarde*, édition Med-URBS, 1995, p. 31.

حول عمران ومعالم مدينة قفصة ورجّح أن تكون الأشغال التي تُخلّدها قد تمّت في عهد حمّودة باشا المرادي والداي محمد لاز[5].

يتّضح من كلام مارسيي أنّ النقيشة لم تكن في مكانها الأصليّ عند معاينته لها في سنة 1893 وهي محفوظة الآن بمخازن تفقديّة المعهد الوطنيّ للتراث بقفصة تحت رقم جرد 132[6]. نُفّذ نصّ هذه النقيشة على لوح من الكلس الأبيض ذي الغلاف الأحمر بسُمك يساوي 12 سم ويتّخذ شكلا مستطيلا تبلغ مقاساته 60 سم للطول و40 سم للعرض ويصل متوسّط ارتفاع الحروف الصاعدة 5 سم وقد كان مُثبّتا طوليّا. يتكوّن النصّ من 11 سطرا وهو مُحاط بإطار بارز يتّخذ شكلا قُرصانيّا وهذا ما يُفسّر التفاوت في عدد الكلمات بين مختلف المستويات الكتابيّة. كُتب النصّ بخط مغربيّ بارز وهو من الصنف النثريّ المعروف الذي تواصل استعماله بالتوازي مع الجنس النقائشيّ الجديد الذي أدخله الأتراك والمتمثل في النقائش الشعريّة. وبهذه الخصائص، لا تحيد هذه النقيشة عن مثيلاتها في شيء بل إنّها تُدعّم لدينا فكرة محدوديّة تأثير الفنّ النقائشيّ العثمانيّ خارج العاصمة والمراكز الكبرى لاستقرار الأتراك[7].

نصّ النقيشــة :

1- بسم

2- الله الرحمن الرحيم

3- وصلّى الله على سيّدنا محمد

---

[5] الأسود (توفيق)، **مدينة قفصة في العهد العثماني: دراسة حضرية ومعمارية**، شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته، تحت إشراف الأستاذ أحمد السعداوي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2007، ص 72-74.

[6] يطيب لي بهذه المناسبة أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الزميل والصديق الأستاذ منذر براهمي ممثل المعهد الوطني للتراث بمنطقة الجنوب الغربي التونسي على ما قدّمه لنا من مساعدات كبيرة في معاينة هذه النقيشة وتوثيقها.

[7] لمزيد من المعلومات حول هذه القضية، أنظر : JARRAY (Fathi), 2007, Tome II, p. 676-681

4- جدّد هذا البناء الواقع في هذا

5- الحصار المبارك مما أمر به السيّدان الأجلان

6- أبو عبد الله محمد داي وأبو عبد الله

7- محمّد باي حفضهما (هكذا)[8] الله وأدام عزّهما على يد

8-المكرم الأجل أبو الحسَن علي بلقباشي[9]

9- التونسيّ والمعلم أحمد [10] المنيف [بن علي بن] [11]

10- الضريف الاسفاقسيّ(هكذا)[12] غفر الله لهم وللمؤمنين

11- أجمعين وكان تمام ....

السطر الأخير من النقيشة مُتآكل ولا تظهر منه إلا عبارة "وكان تمام" التي تُمهّد للتاريخ الذي من المُرجّح أنّه كان بالأرقام بالنظر إلى محدوديّة المساحة المتبقية له في هذا المستوى الكتابيّ. هذا النقص كان موجودا منذ مُعاينة إرناست مارسيي Ernest Mercier في نهاية القرن التاسع عشر ولا نعتقد أنّ الأمر يتعلق بمَطرقةٍ مثلما هو الحال بالنسبة لبعض نقائش الفترتين القديمة والوسيطة، وإنّما يعود إلى تهشّم سبّبه اقتلاع المرتكز من موضعه الأصليّ. رجّح مارسيي أن تكون كلمة "تمام" هي تأريخ بحساب الجمل chronogramme وهذا الأمر نعتبره مستحيلا لعدّة اعتبارات : أوّلا مجموع حروفها الذي

[8] خطأ في الرسم والصحيح هو: حفظهما

[9] مارسيي قرأ ذلك "مفناش"

[10] مارسيي قرأ ذلك "حمد"

[11] هذا الجزء مهشم حاليا وقد قرأه مارسيي "والمعلم"، غير أن المساحة المُتبقية لا يمكن أن تتسع لهذه العبارة مقارنة بنظيرتها الواردة في نفس السطر. ونعتقد أن الأمر يتعلق بذكر نسب أحمد المنيف ومرجح أن النقاش قد كتبه على مستويين داخل نفس السطر.

[12] خطأ في الرسم والصحيح هو: الظريف الصفاقسي

لا يمتّ للتاريخ المفترض بصلة[13]، وثانيا غياب الجذر "أرخ" أو أحد مشتقاته الذي يجبُ أن يسبق الجملة المُكوّنة للتاريخ، وثالثا قلة استعمال هذه الطريقة خارج عاصمة الإيالة وخاصّة في النصوص النقائشية النثريّة المُؤرّخة بالفترة الحديثة[14].

ما تنفرد به هذه النقيشة هو أنّها الوحيدة التي تذكر الداي والباي بصفتهما آمران بالأعمال في الآن نفسه من بين كلّ النقائش التخليديّة المؤرّخة بالفترة الحديثة في كامل إيالة تونس، على أنّ بعض نقائش الفترة الحسينيّة المتأخّرة تذكر الشخصيّتان معا ولكن ضمن إطار مختلف تماما وفي فترة لم تعد للداي أيّة سلطات حقيقيّة وإنّما بعض المهام الشرفيّة فقط[15].

تمثل هذه النقيشة مصدرا هامّا لدراسة العلاقة بين الدايات والبايات خلال منتصف القرن السابع عشر، ولكن في ظلّ غياب تاريخ مضبوط فإنّ الشخصيات التي يذكرها النصّ هي التي ستوفّرُ العناصر الأساسيّة لتأريخٍ ولو نسبيّ للأشغال التي يخلّدها. ويقتضي التمشّي المنهجي التعرّف أوّلا على الشخصيّات المذكورة في النصّ سواء الآمرين بالأعمال (الداي والباي) أو المشرفين والقائمين عليها، ثمّ في مرحلة ثانية وبالاعتماد على ذلك يمكن تقديم تأريخ ولو نسبيّ للنصّ والانتهاء أخيرا إلى قضيّة العلاقة بين الدايات والبايات ومسار ومصير التنافس والصراع بينهما.

---

[13] حسب الطريقتان المغربية والمشرقية المُعتمدتان في التأريخ بحساب الجمل، تُعادل كلمة "تمام" 481 وهذا لا يمكن أن يستقيم على اعتبار أن الأحداث والأشخاص الواردين في نص النقيشة ينتمون إلى الفترة الحديثة.

[14] من بين 140 نقيشة نثرية قمنا بدراستها ضمن مدونة الأطروحة، توجد 06 نقائش فقط تم تأريخها بطريقة الحروف وهي أغلبها تنتمي إلى مدينة تونس. حول هذه الطريقة في التأريخ، أنظر: اليعلاوي (محمد)، "حساب الجمل أو التأريخ بالحروف"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد الثامن، 1971، ص 93-107 وكذلك JARRAY (Fathi), 2007, Tome II, 745-751

[15] أنظر نص نقيشة دار الشريعة المؤرخة بسنة 1855/1272 والتي تذكر اسم الداي إلى جانب الباي ولكن في مرتبة ثانوية جدا وفي علاقة بمهمة شرفية لا غير: JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 1, p. 211-218

الآمران بالأعمال : أبو عبد الله محمد داي وأبو عبد الله محمد باي

ورد اسما الآمران بالأعمال في السّطرين السادس والسابع بشكل موجز مقتصران على كنية "أبي عبد الله" وعلى الاسم الشخصيّ واللقب السياسيّ لكلّ منهما والختام بالدعاء لهما: "السيدان الأجلان أبو عبد الله محمد داي وأبو عبد الله محمد باي حفظهما الله وأدام عزّهما". وللتعرف على هذين الشخصيّتين يجب استحضار قائمة البايات والدايات الذين كانوا يحملون اسم "محمد"، على أن كُنية "أبو عبد الله" كانت غالبا ما تُضاف إلى اسم "محمد" بطريقة اعتباطيّة ودون قاعدة تحكمها وبالتالي لا يمكن التعويل عليها كثيرا في التعرّف على الشخصيّة المعنيّة بالحدث.

بالنسبة للدّايات الذين يحملون اسم **محمد** والمعاصرين لبايات مراديين يحملون كذلك نفس الاسم[16] :

- الدّاي محمد لاز : جمادى الثانية 1057- شوال 1063/جويلية 1647- سبتمبر 1653
- الدّاي محمد أوغلي : ذو الحجة 1076- صفر 1080/جوان 1666- جويلية 1669
- الدّاي محمد منتاشلي : ذو الحجة 1082- ذو القعدة 1083/أفريل 1672- مارس 1673
- الدّاي محمد بيشارة : ذو الحجة-ربيع الأول 1088/مارس- ماي 1677
- الدّاي محمد طاباق 1088-1093/جويلية 1677-أكتوبر 1682

بالنسبة للبايات المراديين الذين يحملون اسم محمّد والمعاصرين لدايات يحملون نفس التسمية :

---

[16] حول قائمة دايات إيالة تونس، أنظر:
RAYMOND (André), «Une liste des Deys de 1590 à 1832», *Cahiers de Tunisie*, Tome VIII, 1960, p. 129-136.

-**محمد المعروف باسم حمّودة** : وقد أصبح باي سنة 1632/1041 وتوفّي سنة 1666/1076، على أنه تخلّى عن السلطة لفائدة أبنائه الثلاثة منذ 1663/1073. وتُعتبر فترة حكم هذا الباي طويلة نسبيّا وقد قام بعدّة أشغال وكان له دور حاسم في السيطرة على دواخل البلاد. وما يمكن أن يُرجّح فرضية علاقته بالأشغال المذكورة هو أنّه حمل كُنية "أبي عبد الله" في العديد من وثائق الأوقاف[17] وأيضا في النقائش مثل نقيشة المدرسة المراديّة بالقيروان[18].

-**محمد بن حمّودة باي المعروف بالحفصيّ** : هذا الباي هو الذي رجّحهُ مارسيي وحجته في ذلك ما أورده الإمام العياشيّ في رحلته من أنّه وجد هذا الباي سنة 1663/1073 مُعسكرا في نواحي مدينة قابس وبالتالي افترض أن يكون قد مرّ إلى مدينة قفصة وأمر بالأشغال التي تُخلّدها النقيشة[19]. غير أنّه بالعودة إلى نصّ رحلة العياشي اتّضح لنا أنّ الأمر يتعلق بمراد بن حمودة وليس بمحمّد الحفصيّ وبالتالي تُصبح قراءة مارسيي محلّ شكّ كبير[20]. على أنّ هذا الباي قد حمل هو أيضا كُنية "أبي عبد الله" في

[17] SAADAOUI (Ahmed), *Tunis au XVIIe siècle : Des actes de waqf des deys et des beys mouradites*, Tunis, 2011.
[18] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 2, p. 431-433.
[19] MERCIER (Ernest), *Opcit*, p. 16-17.
[20] يقول العياشي متحدثا على وصوله إلى نواحي قابس قادما من نفزاوة في شتاء سنة 1663/1073 "وفي اليوم الثالث من رحيلنا من نفزاوة تركنا جبال مطماطة عن يميننا ومررنا ضحى بقبر سيدي كناو وهو في قرية عالية بيضاء من الأرض مدفون بإزاء مسجد حسن عتيق... وأهل تلك النواحي يحترمونه كثيرا وتروى عنه كرامات عظيمة منها أن الناس يقصدونه من سائر النواحي بصدقات كثيرة من زرع وتمر وادام ولحم ويوضع ذلك في بيوت خارج المسجد ومن جاع أكل منه حاجته ولا يرفع منه شيئا... وكان في الركب كثير من الصعاليك فسارعوا إليه أمام الركب رجاء أن يجدوا فيه شيئا من ذلك ولم يصادفوا فيه شيئا لأن السنة كانت سنة قحط وجوع ووجدنا عامل مدينة تونس مراد باي ابن حمودة باي قد نزل بعسكره بقابس وأمر ببناء ذلك المسجد وتجديده وحفر بئر هناك لأن الموضع لا ماء فيه"، انظر: العياشي (أبي سالم توفي سنة 1090هـ/1679م)، **الرحلة العياشيّة**، طبعة ثانية، إشراف محمد حجّي، الرباط، 1977، ص 12-13.

النقائش وفي وثائق الأوقاف[21] وهو الذي جعل من القيروان عاصمة له أثناء الصّراع ضدّ علي باي[22] وبالتّالي من المرجح أنّ مجال سلطته قد يكون شمل كذلك مدينة قفصة.

- محمد باي بن مراد باي 1097-1107/1686-1696: هذا الباي هو الذّي أنهى الصّراع الذي عرفته العائلة المراديّة وبالتالي تمكّن من بسط نفوذه على كامل الإيالة ووارد جدّا أن يكون هو الآمر بالأعمال التي تعنينا في إطار إعادة بسط النفوذ في المدن الداخليّة بعد استتباب الأمن وهو أيضا حمل كُنية "أبي عبد الله" في وثائق الأوقاف[23].

وبناء على ذلك يمكن تقديم ستّ فرضيّات على الأقلّ يلتقي فيها داي وباي باسمي محمد:

- الدّاي محمد لاز والباي محمد باي (حمودة)
- الدّاي محمد أوغلي والباي محمد باي (حمودة)
- الدّاي محمد منتشالي والباي محمد (الحفصي) بن حمودة
- الدّاي محمد بيشارة والباي محمد (الحفصي) بن حمودة
- الدّاي محمد طاباق والباي محمد (الحفصي) بن حمودة
- الدّاي محمد طاباق والباي محمد بن مراد

المُشرفان ؟ على الأشغال : أبو الحسن علي بولكباشيّ التونسيّ وأحمد المنيف بن علي بن الظريف الصفاقسيّ؟

قرأ مارسيي اسم المشرف على الأشغال في السطر الثامن على أنّه "أبو الحسن علي مفناش التونسيّ" وهذا الأمر اعتبرناه غريبا إذ لم نجد أيّ أثر أو أصول لهذه النسبة لا في الأسماء العربيّة ولا في الأسماء التركيّة. غير أنّه عند التثبّت في النقيشة اتّضح لنا

[21] JARRAY (Fathi), *Opcit*, p. 436-440 et SAADAOUI (Ahmed), *Opcit*.

[22] حول الصراع داخل العائلة المرادية وشجرة نسبها، أنظر:
GRANDCHAMP (Pierre), «Les Beys Mouradites (161…-1702) », *Revue Tunisienne*, 1941, p. 227-232.

[23] SAADAOUI (Ahmed), *Opcit*.

أنّ الأمر يتعلّق بـــ بلقباش = بلوكباشيّ، وبذلك يصبح اسمه أبو الحسن علي بولكباشيّ التونسيّ. وبُلوكباشيّ هو لقب عسكريّ من أصل تركيّ وهو مركّب من: **بُلوك** ويعني الصّف و**باشي** ويعني الرئيس، وبالتالي فهو "رئيس الصّف" وقد استعمل هذا اللقب بصيغة بلقباش في عدّة مناسبات في نقائش الفترة الحديثة منها مثلا نقيشة مسجد سيّدي البحريّ بمدينة صفاقس[24].

إنّ إشراف هذه الشخصيّة على مثل هذا العمل لا يمثّل مُشكلا باعتبار السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها، ونرجّح أنّه كان المسؤول الأوّل على القصبة وهو الذي تابع الأشغال بصفة مباشرة، وتعرضُ علينا نقائش مدينة صفاقس عدّة أمثلة لأشغال تأسيس وترميم تمّت تحت إشراف بلوكباشيّ:

1. تجديد باب الدّيوان في سنة 1040/31-1630 تمّ تحت إشراف رجب بلوكباشيّ،

2. تجديد باب الدّيوان في سنة 1056/47-1646 تمّ تحت إشراف بلوكباشيّ مراكشيّ[25]،

3. تشييد مسجد الترك سنة 1117/06-1705 تمّ تحت إشراف محمد بن يحيى التركيّ أبولكباش،

4. تجديد مسجد سيّدي البحريّ في منتصف القرن الثامن عشر تمّ تحت إشراف محمد بلوكباشيّ[26].

إضافة إلى أبو الحسن عليّ بولكباشيّ، تقدّمُ النقيشة حسب مارسيي مُشرفان آخران على الأشغال، هما: المعلّم أحمد المنيف والمعلّم الظريف الصفاقسيّ. حاليّا القسم الذي كان يحتوي كلمة "المعلم" الموجودة قبل اسم الظريف حسب قراءة مارسيي مُهشّم وبالتالي لا يمكن التثبّت من صحّة ذلك، بينما ذُكر اسم أحمد المنيف في عدّة نقائش تخلّد لإنشاءات أو لتدخّلات ترميميّة تمّت بمعالم تاريخيّة موجودة بمدن جنوب إيالة تونس :

---

[24] JARRAY (Fathi), *Opcit*, p. 524-528.

[25] أنظر نقائش مدينة صفاقس في: JARRAY (Fathi), *Opcit*, p. 473-533.

[26] المرجع السابق.

-باب الدّيوان بصفاقس 1646/1056 : المعلّم عمر المنيف والمعلّم **أحمد المنيف** والمعلّم عبد اللطيف المنيف[27]،

-جامع سيّدي إدريس بقابس 1666/1076 : المعلّم عبد الحميد ابن المعلم الحاج محمد والمعلّم محمد ابن المعلم **أحمد المنيف** الصفاقسي[28]،

-زاوية سيّدي عمر كمّون بصفاقس 1666/1077 : المعلّم محمد ابن **المرحوم أحمد** ابن الحاج علي المنيف وأخيه قاسم[29]،

-زاوية سيّدي أبي الحسن الكرّاي بصفاقس 1671/1082 : المعلّم محمد ابن المرحوم المعلم **أحمد** ابن المعلّم الحاج علي المنيف،

أمّا بالنسبة لاسم الظريف فقد ذُكر مرّتين على الأقل في نقائش تعود إلى نهاية الفترة الوسيطة :

- نقيشة الجامع الكبير بصفاقس المؤرخة بسنة 908هـ/1502م التي تذكر "**جدّد بناء هذا الحائط المعلّم إبراهيم ابن المعلّم أحمد ابن المعلّم قاسم القطي والمعلّم أبو إسحاق إبراهيم ابن المعلّم الظريف المنيف...**"[30]،

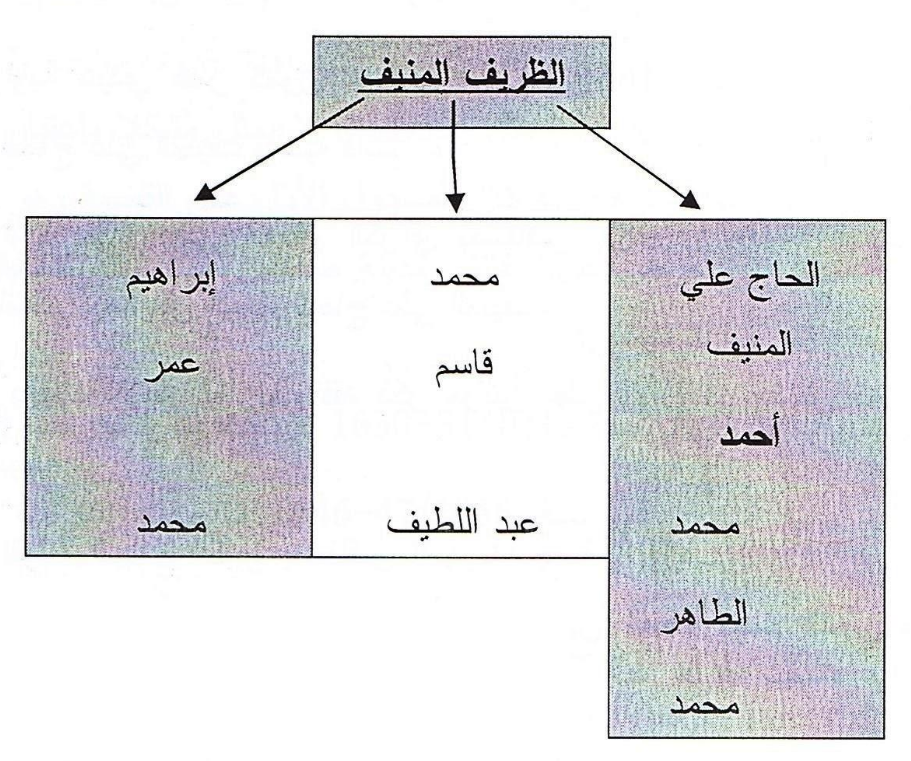
- نقيشة ثانية بالجامع الكبير بصفاقس أرّخها لطفي عبد الجواد بعد سنة 1502/908 وتذكر "**الحمد لله جدّد بناء هذا الحائط المعلّم إبراهيم ابن المعلّم الظريف المنيف...**"[31]،

---

[27] المرجع السابق.

[28] JARRAY (Fathi), *Opcit*, p. 615-619.
[29] JARRAY (Fathi), *Opcit*, p. 489-491.
[30] ABDELJAOUAD (Lotfi), *Inscriptions arabes des monuments islamiques des grandes villes de Tunisie : Monastir, Kairouan, Sfax, Sousse et Tunis (2ème s./8ème s. H. – 10ème / 16ème s. J.-C.)*, Thèse de Doctorat nouveau régime, sous la direction de Solange Ory, Université Aix-Marseille I, 2001, volume 1, p. 184-186.
[31] ABDELJAOUAD (Lotfi), *Opcit*, p. 189-190.

وبالاعتماد على هذه الأسماء وكذلك على نقيشة جنائزيّة تذكر على الأقلّ ستّة أجيال لعائلة المنيف وكذلك على وثيقة عدليّة تمكّن الأستاذ أحمد بدر الدّين الكسراوي[32] من رسم شجرة نسب هذه العائلة كما يلي:



وبناء على ذلك، فأحمد المذكور في النقيشة هو ابن عليّ والظريف هو جدّه ويصبحُ اسمه الكامل **أحمد المنيف بن علي بن الظريف الصفاقسيّ** ولا يتعلق الأمر بشخصين مختلفين مثلما اعتقد مارسيي وإنّما هو شخص واحد، وهو ما ينسجم تماما مع تركيبة شجرة عائلة المنيف، ذلك أنّ الأخذ برأي مارسيي يجعل أحمد والظريف مُعاصران لبعضهما غير أنّ هذا الأخير لم يوجد تاريخيّا ولم نجد له أيّ أثر لا في النقائش ولا في بقيّة المصادر التاريخيّة.

تبدو الهيكلة الحاليّة لهذا الاسم غير عاديّة على اعتبار أنّ النسبة قد تقدّمت عن النسب ولكنّ هذه التركيبة وجدنا ما يماثلها في عدّة نقائش تعود إلى الفترة الحديثة مثل

---

[32] الكسراوي (أحمد بدر الدين)، "أرباب صناعة البناء في مدينة صفاقس من خلال الكتابات التذكارية"، **نشرية أشغال المعهد القومي للآثار والفنون**، العدد الخامس، تونس، جانفي-جوان 1990، ص 9-43.

نقيشة المدخل الشرقيّ بجامع الزّيتونة التّي تذكر "محمد الأندلسيّ بن غالب"[33] ونقيشة مقام سيدي مسعود بالمنستير التي تُوردُ اسم "محمّد عرب بن المرحوم سالم عرب"[34] ونقيشة باب الدّيوان بصفاقس التي نجد بها "المعلّم عطيّة المنيف والمعلّم أحمد المنيف أولاد المعلّم إبراهيم المنيف"[35].

حول إمكانيّة تأريخ النقيشة :

الفرضيّات المُقدّمة في خصوص اسمي الدّاي والباي تجعل النقيشة لا تخرج عن الثلاثين سنة الفاصلة بين 1647/1057 و 1678/1088. غير أنّه عند تتبّع أنشطة القائم بالأشغال أحمد المنيف نجدها تقف تقريبا في سنة 1666/1076، ذلك أنه انطلاقا من السّنة الموالية سيصبح اسمه مسبوقا بكلمة المرحوم (نقيشتي سيدي عمر كمّون وسيدي بالحسن الكرّاي) إذ من الممكن أنّه قد تُوفّي في هذه السّنة وبالتالي فإنّ أشغال تجديد قصبة مدينة قفصة لا يمكن أن تكون لاحقة لهذا التاريخ يعني 1666/1076. كلّ ذلك يجعلنا نميلُ إلى إقصاء الفرضيّات الثلاث الأخيرة والاكتفاء بالفرضيّتين الأوّلتين أي (الباي حمودة مع الدّاي محمّد لاز أو مع الدّاي محمّد أوغلي). هذه المعطيات تمكننا من تضييق أكثر للحيّز الزّمني لهذه الأشغال إذ تُصبح مُنحصرة بين سنتي 1647/1057 و1666/1076، غير أنّ معاصرة حمّودة باشا لدايين يحملان اسم محمد يضعنا مجدّدا أمام فترتين زمنيّتين :

- الفترة الأولى تهمّ محمّد لاز الذي كان دايا بين سنتي 1057-1063-1647/-1653،

- الفترة الثانية تهمّ محمّد أوغلي الذي أنتخب دايا سنة وفاة حمّودة باشا وبالتالي لم يعاصره في أحسن الحالات إلا لسنة واحدة وهي 1666/1076.

يذكر ابن أبي الدّينار أنّ حمّودة باي بعد حصوله على لقب الباشا أرسل إلى الباب العالي لإعفائه من مهامه وقد تمّ له ذلك فعلا انطلاقا من سنة 1663/1073، يعني ثلاث

---

[33] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 1, p. 64-68.
[34] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 2, p. 573-575.
[35] *Opcit*, p. 478-480.

سنوات قبل وفاته[36]. هذا الأمر يُقصي إمكانيّة أن يكون الدّاي هو محمّد أوغلي وتبقى الفرضيّة الوحيدة القائمة هي لمحمّد لاز وتحديدا للستّ سنوات التى كان فيها دايا، وبالتالي فإنّ تاريخ الأشغال في اعتقادنا لا يمكن أن يخرج عن الفترة الفاصلة بين 1057 و1647/1063 و1653.

قضيّة العلاقة بين الدّاي والباي :

لقد حاولت أغلب الدّراسات المتعلقة بتاريخ تونس الحديث وخاصّة التي اهتمّت بمسألة العلاقة بين الدايات والبايات تقديم بعض الفرضيّات بشأن انتقال السّلطة بينهما. وعموما، لا تقدّم هذه الدراسات حدودا تاريخيّة واضحة لنهاية حكم الدّايات وبداية حكم البايات المراديين على عكس الانتقال بين سلطتي الباشوات والدّايات الذي تمّ بفعل ثورة صغار ضبّاط الجيش في سنة 1591.

من جهة أخرى، ركزت بعض البحوث على اتساع نفوذ البايات المراديّين منذ الربع الثاني من القرن السابع عشر مُعتمدة في ذلك على المصادر الكلاسيكيّة من ذلك مثلا ما قام به الأستاذ توفيق البشروش عندما حقّب صعود المراديين بمرحلتين[37] :

1- مرحلة أولى سمّاها الهيمنة السلميّة للبايات المراديين (Prééminence pacifique des Beys Mouradites)

2- مرحلة ثانية سمّاها الهيمنة العنيفة للبايات المراديين (Prééminence violente des Beys Mouradites).

أمّا الأستاذ محمد الهادي الشريف فقد تعامل مع هذه الظرفية بشكل نسبيّ وهو يقدّم منتصف القرن السابع عشر كحدّ فاصل بين فترتي حكم الدّايات والبايات[38]. من جهة أخرى، خصّص الباحث الفرنسيّ أندري رايمون André Raymond فصلا كاملا لهذه

---

[36] ابن أبي الدينار (أبي عبد الله محمد)، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، 1969، ص 239.

[37] BACHROUCH (Taoufik), *Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au XVII^{e} siècle*, Tunis, 1977, p. 167-162.

[38] الشريف (محمد الهادي)، **تاريخ تونس**، تونس، 1985، ص 71-81.

المسألة في مؤلفه حول مدينة تونس تحت حكم المراديين ولكنّه توقّف عند بداية عهد حمّودة باشا موحيا بأنّ ذلك يمثل فترة تحوّل في نظام الحكم في إيالة تونس[39]. لدينا كذلك دراسة الباحثة أسماء مُعلّى والتي اكتفت بدورها ببعض المصادر الكلاسيكيّة وركزت فيها بالخصوص على بداية الصراع الحقيقيّ بين البايات والدايات ودور المحلة في مرحلة أولى ثم دار الباي في مرحلة ثانية[40].

إنّ الاعتماد على مصادر أخرى في معالجة هذه القضيّة من شأنه أن يُوفّر معطيات جديدة حول هذه المسألة من ذلك مثلا النصوص النقائشيّة بنوعيها المعماريّ والجنائزيّ بما أنّنا بصدد دراسة نقيشة ذات علاقة وطيدة بهذا الموضوع، ثم مختلف المعاهدات والمراسلات مع القناصل الأجانب وخاصة الفرنسيين.

لقد اتفقت أغلب المصادر حول الأدوار الحاسمة والمهمّة التي قام بها حمّودة باشا المراديّ في إخضاع عدة قبائل وإدخالها تحت طاعة الحكم المركزيّ، مثل مجموعات أولاد شنوف وأولاد سعيد وقبيلة ورغمة وقبيلة عمدون وبعض القبائل المستقرّة بالمناطق الجبليّة كمطماطة وغيرها...[41] وحسب الأستاذ توفيق البشروش، قام البايات المراديّون خلال هذه المرحلة بدور الوساطة بين دواخل البلاد والسلطة المركزيّة الممثلة في الدّايات[42]، بينما ينعت الأستاذ لطفي عيسى ذلك بأنّه مواصلة لسياسة تقاسم الأدوار بين البايات والدايات التي تعود جذورها إلى عهدي عثمان داي ويوسف داي اللذان تمكّنا من السيطرَة على السلطة المركزيّة، في حين أوكلت مهمّة إخضاع دواخل البلاد سياسيّا

---

[39] RAYMOND (André), *Tunis sous les Mouradites ; la ville et ses habitants au XVII^e siècle,* Tunis, 2006, p. 25-31.

[40] MOALLA (Asma), «The Rise of the Beys in the Tunisian Regency (1600-1675)», *Revue d'Histoire Maghrébine*, 28ème année, N° 104, Septembre 2001, p. 373-379.

[41] ابن أبي الدينار، 1969، ص 229-235.

[42] BACHROUCH (Taoufik), *Opcit.*

وعسكريّا وخاصة جبائيّا للبايات في إطار محلتي الشتاء والصيف وبعض الحملات الطّارئة...[43]

تمكّن البايات المراديون بفضل هذه السياسة من توسيع نفوذهم وربط علاقات تحالف مع أعيان دواخل البلاد بل إنّ حمودة باشا قد أدمج عدّة مجموعات ضمن جيشه وهي تسمّى **الزمول** وخاصّة من قبائل دريد، غير أنّ سلطة البايات ظلت بعيدة عن المجال المركزيّ الذي ظل مُحتكرا من طرف الدايات. ويمكن اعتبار التدخّل المؤرّخ بنقيشة تخليديّة تَنسبُ إلى الباي حمّودة باشا المراديّ إعادة بناء منارة جامع الزّيتونة بتونس في سنة 1063/53-1652 أوّل مؤشر على بداية مشاركة المراديّين للدّايات في تسيير بعض الشؤون الرّسميّة[44]. غير أنّ تمكُّن حمّودة باشا من النفاذ إلى عاصمة الإيالة والأمر أو الإشراف على مثل هذا العمل لا يعني مطلقا تراجع سلطة الدّايات، ففي السّنة نفسها أمر الداي محمد لاز بتجديد الجامع الكبير ببنزرت وهو نفسه الذي أمر بتجديد منارة جامع القصبة سنتين قبل هذا التّاريخ[45]. في سنة 1655/1066 أمر حمّودة باشا ببناء جامعه المعروف بمدينة تونس وظلّت العديد من المدن الداخليّة تحت سلطة الدّايات بدليل أنّ أغلب الإنشاءات والتدخّلات كانت تتمّ بأمرهم مثل الدّاي مصطفى لاز الذّي أظهر سيطرة كبيرة على عدّة مدن واستفاد من تقاسم البلاد بين أبناء حمّودة باشا وكان الآمر لعدّة تشييدات: بناء الجامع الكبير وبرجي تونس و"اللوطاني" بمدينة غار الملح وترميم الأجزاء الشرقيّة بأسوار مدينة سوسة[46] وخاصّة تجديد جامع القصبة بمدينة قفصة المؤرّخ بنقيشة بسنة 1664/1074 والتّي حمل فيها هذا الداي لقب **رئيس العسكر المنصور بمدينة تونس**[47] وفي ذلك دلالة واضحة على محاولة استرداد نوع من النّفوذ ورد فعل تجاه

---

[43] عيسى (لطفي)، "البايات وتطور نظام الحكم أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر"، **تونس عبر التاريخ : من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، الجزء الثاني، تحت إشراف خليفة شاطر، تونس، 2005، ص 205-220.

[44] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 1, p. 71-74.

[45] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 1, p. 103-105 et volume 2, p. 546-548.

[46] *Opcit*, Tome I, volume 2, p. 371-373 et p. 602-612.

[47] MERCIER (Ernest), « Nouvelle inscription arabe de Gafsa », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 7ème volume de la troisième série, 1893, p. 131-135.

اتّساع سلطة البايات. وفي المقابل، استعمل حمّودة باشا لقب آخر يُماثلهُ كثيرا وهو لقب **صاحب كرسيّ مدينة تونس** الذي نجده يتردّد عدّة مرّات في الفترة الّتي تعنينا: نقيشة ختمة جامعه بمدينة تونس[48] ونقيشة المدرسة المراديّة بالقيروان[49] وفي بعض وثائق الأوقاف مثل عقد حبس المارستان[50].

الصنف الثاني من المصادر الذّي من الممكن الاعتماد عليه في معالجة هذه القضيّة يتعلّق بالمراسلات والمعاهدات بين إيالة تونس والقناصل الفرنسيّين. العديد من هذه الوثائق نشرت في كتاب أوجان بلانتات Eugène Plantet[51] وكذلك من طرف الأستاذ منجي صميدة[52] وتتعلّقُ ببعض المواضيع الهامّة مثل معاهدات السّلم وتبادل الأسرى والزيارات والمعاهدات التجاريّة. كلّ المراسلات والاتفاقيّات كانت تتمّ إلى حدود سنة 1666/1076 باسم الدّايات (يوسف داي، أسطا مراد، محمد لاز، مصطفى لاز) وأوّل مرّة يرد فيها اسم الباي كانت سنة 1666/1076 وهي سنة وفاة حمّودة باشا والباي المذكور هو مراد بن حمّودة وموضوع الوثيقة كان معاهدة سلميّة تُذكّرُ بمعاهدة سابقة كانت قد تمّت بين مملكة فرنسا وحمّودة باشا[53].

صنف آخر من الوثائق كان يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة لهذا الموضوع وهي المراسلات والفرمانات الصادرة عن الباب العالي والتي تعكس بوضوح شكل تعامل السلطة المركزيّة بإسطنبول مع حكام إيالة تونس. غير أنّ الفرمانات المنشورة إلى حدّ الآن قليلة جدّا وتهمّ أساسا الفترة الأولى والفترة الحسينيّة وقد كانت موجّهة في البداية إلى البايلرباي[54] أو الباشا باعتباره الممثل الشرعيّ للسلطان العثمانيّ.

---

[48] JARRAY (Fathi), Tome I, volume 1, p. 162-163.
[49] JARRAY (Fathi), 2007, Tome I, volume 2, p. 431-433.
[50] SAADAOUI (Ahmed), *Opcit*, p. 287.
[51] PLANTET (Eugène), *Correspondances des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour (1577-1930)*, Paris 1893-1899, présentation et notes de Lucette VALENSI, Paris (Texte du XVIII^{e} siècle), 3 tomes.
[52] SMIDA (Mongi), *Aux origines du commerce français en Tunisie*, Tunis, 2001.
[53] *Opcit*, p. 175-180.
[54] بايلرباي تعني بالتركية "باي البايات" والمقصود هنا هو الباشا. راجع في هذا الشأن نصوص الفرمانات التي نشرها الأستاذ عبد الجليل التميمي في مقاله: التميمي (عبد الجليل)،"عثمنة إيالات الجزائر وتونس

وعموما، تُبيّن هذه الوثائق أنّ انتقال السلطة من الدّايات إلى البايات لم يكن بالسرعة التّي يتمّ بها الانتقال بين السلطات عقب ثورات أو توريث أو غيرهما... وإنّما تطلّب مدّة طويلة تنيف عن نصف قرن وكان الفاعل الأساسيّ فيها حمّودة باشا المراديّ، وقد عرف هذا الانتقال عدّة مراحل: مرحلة أولى اتّسمت بسيطرة الدّايات على السلطة المركزيّة وكانت تستند إلى ظرفيّة اقتصاديّة ملائمة جدّا مثل القرصنة والهجرة الأندلسيّة وغيرهما... وخلال هذه المرحلة تكفل البايات بأمرين مهمّين في علاقة ببعضهما وهما جمع الجباية وإخضاع القبائل المتمرّدة. في مرحلة ثانية تمكّن البايات من توسيع نفوذهم وساد ما يمكن تسميته بثنائيّة الحكم Dyarchie تجسدها هذه النقيشة موضوع البحث أحسن تجسيد، ثمّ في مرحلة أخيرة تمكّن البايات من تحييد الدّايات نهائيّا والانفراد بالحكم وخاصّة بعد وفاة مصطفى لاز آخر أكثر الدّايات نفوذا. فالواضح أنّ سياسة البّايات المراديّين كانت منهجيّة ومحكومة بمرحلتين أساسيّتين: البداية كانت بدواخل البلاد ثم في مرحلة ثانية عاصمة الايالة.

أمّا عن أعمال التجديد التي تُخلّدها هذه النقيشة فنرجّح أنّها قد تمّت بمتابعة شخصيّة ومباشرة من البلوكباشيّ الذّي كان يُشرف على القصبة في حين أنّ إدراج اسمي الدّاي والباي كان ظرفيّا. ففي تلك الفترة مازالت المدن الدّاخليّة وخاصّة المؤسّسات العسكريّة لم تخرج عن سلطة الدّايات كما يمكن أن يكون ذلك اجتهاد شخصيّ من طرف البلوكباشيّ تجاه شخصيهما، إذ يبدو أنّه كان على وعي تامّ بتصاعد سلطات الباي، على أنّه قدّم اسم الدّاي على الباي باعتباره "رئيسه المباشر" فلا يمكن أن تغيب على أذهاننا أنّ البلوكباشيّة قد قاموا بدور حاسم في انتقال السلطة إلى الدايات. وفي المقابل نستبعد أن يكون الدّاي أو الباي قد حضرا شخصيّا للإذن بالأشغال : أوّلا لأنّ حجم الأشغال لا يستدعي حضور الباي أو الدّاي، فالأمر يتعلّق بأشغال ترميم جزئيّة لم تستهدف سوى قسم محدود من المعلم على ما نفهمه بالسّطرين الرابع والخامس من النقيشة (جدّد هذا البناء الواقع في هذا

وطرابلس على ضوء المهمة دفتري (1559-1595)"، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد 34، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 2006، ص 19-189.

الحصار المبارك)[55]، وبالتّالي فإنّ البلوكباشيّ مؤهّل للإشراف عليها ولنا في نقائش مدينة صفاقس عدّة أمثلة على ذلك إلا إذا كان ذلك بشكل ظرفيّ، يعني أن يُصادف ابتداء الأشغال مرور الباي أو الدّاي من المدينة مثل عبور المحلّة. ثمّ إنّ الحيّز الزمنيّ الذي تمكنّا من تحديده كتاريخ للنقيشة تضمّن عدّة أشغال للترميم والبناء مؤرخة بنقائش تمّت بأمر من هذين الشّخصين في أماكن متباعدة نسبيّا، من ذلك مثلا بناء منارة جامع القصر بمدينة تونس في سنة 1648/1057 وإصلاح منارة جامع القصبة في شهر شعبان من سنة في 1063/53-1652 وترميم الجامع الكبير ببنزرت بأمر من محمّد لاز وكذلك بناء منارة جامع الزّيتونة في نفس السّنة بأمر من حمّودة باشا.

---

[55] لم تُمكنّ المعاينة الميدانية للمعلم من التعرف على الموضع الأصلي للنقيشة ولا على الأجزاء التي شملتها هذه التدخلات بسبب التحويرات الكبيرة التي عرفتها القصبة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.



قصبـــة مدينـــة قفصـــة



نقيشة القصبة وهي محفوظة حاليا بمخازن تفقدية المعهد الوطنيّ للتراث بقفصة

ببليوغرافيا

- ابن أبي الدينار (أبي عبد الله محمد)، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق وتعليق محمّد شمّام، تونس، 1969.

- الأسود (توفيق)، **مدينة قفصة في العهد العثمانيّ: دراسة حضريّة ومعماريّة**، شهادة ماجستير في تاريخ العالم المتوسطيّ وحضارته، تحت إشراف الأستاذ أحمد السعداويّ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2007.

- التميمي (عبد الجليل)، "عثمنة إيالات الجزائر وتونس وطرابلس على ضوء المهمّة دفتري (1559-1595)"، **المجلّة التاريخيّة العربيّة للدّراسات العثمانيّة**، العدد 34، منشورات مؤسسة التّميميّ للبحث العلميّ والمعلومات، تونس، 2006، ص 19-189.

- الشريف (محمد الهادي)، **تاريخ تونس**، تونس، 1985.

- العياشيّ (أبي سالم توفي سنة 1090هـ/1679م)، **الرحلة العياشيّة**، طبعة ثانية، إشراف محمد حجّي، الرباط، 1977.

- عيسى (لطفي)، "البايات وتطوّر نظام الحكم أثناء القرنين السّابع عشر والثامن عشر"، **تونس عبر التاريخ: من العهد العربيّ الإسلاميّ إلى حركات الإصلاح**، الجزء الثاني، تحت إشراف خليفة شاطر، تونس، 2005، ص 205-220.

- الكسراويّ (أحمد بدر الدين)، "أرباب صناعة البناء في مدينة صفاقس من خلال الكتابات التذكاريّة"، **نشرية أشغال المعهد القوميّ للآثار والفنون**، العدد الخامس، تونس، جانفي-جوان 1990، ص 9-43.

- اليعلاويّ (محمد)، "حساب الجمل أو التأريخ بالحروف"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد الثامن، 1971، ص 93-107.

- ABDELJAOUAD (Lotfi), *Inscriptions arabes des monuments islamiques des grandes villes de Tunisie : Monastir, Kairouan, Sfax, Sousse et Tunis (2ème s./ 8ème s.H. – 10ème / 16ème s. J.-C.)*, Thèse de Doctorat nouveau régime, sous la direction de Solange Ory, Université Aix-Marseille I, 2001, 4 volumes.

- BACHROUCH (Taoufik), *Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au XVIIème siècle*, Tunis, 1977.

- BARBERO (Walter), (sous la direction de), *Gafsa : Relevés et recherches pour la sauvegarde*, édition Med-URBS, 1995.

- GRANDCHAMP (Pierre), «Les Beys Mouradites (161…-1702)», *Revue Tunisienne*, 1941, p. 227-232.

- JARRAY (Fathi), *Inscriptions des monuments dans la Régence de Tunis à l'époque ottomane : étude épigraphique et historique*, Thèse de Doctorat de l'Université, sous la direction cotutelle de mesdames les professeurs Solange Ory et Mounira Remadi-Chapoutot, Université de Provence, 2007, 5 volumes.

- MERCIER (Ernest), «Inscriptions arabes inédites de Tunisie », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 7ème volume de la troisième série, 1893. p. 1-32.

- MERCIER (Ernest), « Nouvelle inscription arabe de Gafsa», *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 7ème volume de la troisième série, 1893, p. 131-135.

- MOALLA (Asma), «The Rise of the Beys in the Tunisian Regency (1600-1675)», *Revue d'Histoire Maghrébine*, 28ème année, N° 104, Septembre 2001, p. 373-379.

- PLANTET (Eugène), *Correspondances des Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour (1577-1930)*, Paris 1893-1899, présentation et notes de Lucette VALENSI, Paris (Texte du XVIIIème siècle), 3 tomes.

- RAYMOND (André), «Une liste des Deys de 1590 à 1832», *Cahiers de Tunisie*, Tome VIII, 1960, p. 129-136.

- RAYMOND (André), *Tunis sous les Mouradites ; la ville et ses habitants au XVIIè siècle,* Tunis, 2006.

- SAADAOUI (Ahmed), *Tunis au XVIIè siècle : Des actes de waqf des deys et des beys mouradites*, Tunis, 2011.

- SMIDA (Mongi), *Aux origines du commerce français en Tunisie*, Tunis, 2001.